



## برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

<http://dr-shaal.com>

### الحلقة الخامسة والعشرون إكرام الضيف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أرحب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حسنّها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

الكرم خلق يحبّه الله ويحبّه الناس، والشُّحُّ طَبْعُ يكرهه الله، ويكرهه الناس، فالكريم حبيبٌ لله؛ لأنّه اقتدى بالله في صفاته، والبخيلُ عدوٌّ لله؛ لأنّه خالف الله في صفاته، ومن أركى فروع الكرم إكرام الضيف وإقراءه، فهذا الخلق النبيلُ فرعٌ من فروع الإيمان، ومظهرٌ من مظاهر الجود والكرم والإحسان، وإكرام الضيف وإقراءه من صفات المؤمنين الطّائعين، وخلقٌ من أخلاق الأنبياء المصطفين، فهو يُنشئُ المحبةَ في القلوب، ويُمَتِّنُ أواصرَ الألفةِ في النفوس..

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾

[هود:69].

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \*

فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ \* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿[الذّاريات:24-27].

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَانِزَتَهُ»، قَالَ: وَمَا جَانِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (6019)، ومسلم في "صحيحه" رقم (48).

قال رسول الله ﷺ: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا»<sup>(3)</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»<sup>(4)</sup>.

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهودٌ؛ فأرسلَ إلى بعض نساءه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْلِهِ، فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ قالت: لا، ألا قوتٌ صبياني، قال: فَعَلَّيْهِمْ بشيءٍ، فإذا دخل ضيفُنا، فأطفئي السراجَ، وأريه أنا نأكل، قال: ففعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبحا، غَدَا على النبي ﷺ، فقال: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». فنزلت: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]<sup>(5)</sup>.

وفيما يُروى من كَرَمِ حاتم الطائي: أَنَّهُ كان مِضيفاً سَخِيّاً في العُسْرِ والْيُسْرِ، وقد جاءهُ أضيافٌ في سنةٍ قاحلةٍ، قَلَّ فيها الزَّرْعُ والضَّرْعُ، ولم يَبْقَ عند حاتم الطائي في بيته إلا فرسُهُ وسيفُهُ، اللَّذَانِ يعتبران شرفَ العربيِّ الجاهليِّ، وأُسمَى وأُرفِعَ ما يملكُ، غير أَنَّهُ أَبَى أن يخرجَ ضيفَهُ من دون طعامٍ، فأنَبَرى يذبحُ فرسَهُ؛ لِيُقْرِىَ ضيفَهُ، ويديمَ كَرَمَهُ! حتَّى نُسِبَ الكرمُ إليه، فصار حاتمُ الطائي مَضْرَبَ المثل في الكرم، فأصبح يُقال: فلانٌ كريمٌ كرماً حاتمياً، وكان يقول لزوجته ماويّه التي لامته على سَرَافِهِ في إكرام الضيف:

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ      ويبقى من المالِ الأحاديثُ  
ورائِحُ      والذِّكْرُ

<sup>(2)</sup> أخرجه أحمد في "مسنده" [28/635].

<sup>(3)</sup> أخرجه النسائي في "سننه" [3/10]، والبيهقي في "شعب الإيمان" [6/117].

<sup>(4)</sup> أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (6138).

<sup>(5)</sup> أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2054).

أَمَاوِيَّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ      إِذَا جَاءَ يَوْمًا: هَلْ فِي مَالِنَا  
نَزَرُ

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنْ      إِذَا حَشَرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا  
الْفَتَى      الصَّدْرُ

وقد علّم حاتم أولاده من بعده إكرام الضيُوف، فكان ابنُه عديُّ كريماً مثله حتّى قيل:

بِأَبِيهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي      وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ  
الْكَرَمَ

وكانت ابنتُه سفانةً كريمةً مثله، ويروى أنّه لما أُتِيَ بسفانةٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ في أسرى قومها، قالت: يا محمّد، هَلْكَ الوالدُ، وغاب الوافدُ، فإن رأيت أن تُخَلِّيَ عَنِّي، فلا تُشْمِتْ بي أحياء العرب، فإنّي بنتُ سيّد قومي، كان أبي يَفُكُّ العاني، ويحمي الدّمار، ويُفْري الضّيف، ويُشْبِعُ الجائع، ويُفَرِّجُ عن المكروب، ويُطعم الطّعام، ويُفشي السّلام، ولم يَرُدَّ طالب حاجة قطّ، أنا بنتُ حاتم طيٍّ، فعفا عنها النَّبِيُّ ﷺ؛ إكراماً لكرمها وكرم أبيها.

والمسلم أحقُّ بهذه الصّفة الجليّة من الجاهلي، وأليق به أن يكون مكرماً لضيّفه مُقرباً

لزوّاره؛ لأنّ ربّه كريمٌ، بل هو الأكرم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق:3].

وكان إبراهيم الخليل عليه السلام عليه يُكنى: أبا الضّيفان لكثرة ضيافته النّاس، فكان إذا أراد أن يأكلَ خَرَجَ ميلاً أو ميلين يَلْتَمِسُ مَنْ يَتَغَدَّى مَعَهُ.

وكان الإمام مجاهد يقول في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾

[الذّاريات:24]، يقول: كانوا مُكْرَمِينَ؛ لأنّ الخليل عليه السلام خَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ.

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: لأنّ أجمَعَ نفراً من أصحابي على طعامي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِتْقِ رَقَبَةٍ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه دخل عليه قومٌ يعودونه في مرضٍ له، فقال: يا جارية، هلمّي لأصحابي ولو بُسراً، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَنَّةِ»<sup>(6)</sup>. وكان أنس رضي الله عنه يقول: كل بيتٍ لا يدخلُهُ ضيفٌ، لا تدخلُهُ الملائكة.

ختاماً: أهديكم ثلاثة أحاديث من حديث رسول الله ﷺ:

(1) قال رسول الله ﷺ: «الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُوَكَّلُ فِيهِ مِنَ الشَّفَرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ»<sup>(7)</sup>.

أي إنّ الله تعالى يُفيضُ نعمه بسرعةٍ على صاحب الدّار التي أكرّم فيها الضُّيوف، كسرعة قطع السّكّين في سنامِ الجمل. نعم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:39].

(2) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفَقاً خَلْفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلْفاً»<sup>(8)</sup>. فطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَكْرَماً لضيوفه، بوجهٍ طَلَّقَ بِسَامٍ، وَبَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لوجه الله تعالى، فإنّ الخير والبركة ورضا الله قريبٌ منه.

(3) قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامَ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»<sup>(9)</sup>.

هذا حديث عن إكرام الضيف

إلى لقاء آخر أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

<sup>(6)</sup> أخرجه الطَّبْرَانِي فِي "المعجم الوسيط" [6/313].

<sup>(7)</sup> أخرجه ابن ماجة فِي "سننه" [3/294].

<sup>(8)</sup> أخرجه البخاري فِي "صحيحه" رقم (1442)، ومسلم فِي "صحيحه" رقم (1010).

<sup>(9)</sup> أخرجه التِّرْمِذِي فِي "جامعه" [4/652].